الإيمان بالله تعالى

قَوْلُهُ: نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ، مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

(نَقُولُ) هَذَا شروع في بيان ما قصد إليه.

(نَقُولُ) نحن أهل السنة، هو يعبر عن نفسه، وعمن ذكر من الأئمة وغيرهم من أئمة الدين.

(نَقُولُ) بألسنتنا (معتقدين) بقلوبنا.

فجمع رحمه الله بين الإقرار باللسان، واعتقاد بالجَنان.

ثم يقول: «بتوفيق الله» هذه لها دلالة عظيمة، وهي: أن إيماننا وقولنا واعتقادَنا إنما يتحقق لنا بتوفيقه سبحانه وتعالى وهدايته، فنحن نقول ونعتقد ما نعتقده بتوفيقه سبحانه، وهذا يتضمن الإيمان بالشرع والقدر جميعا.

أَنَّ التَّوْحِيدَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ، وَأَوَّلُ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، وَأَوَّلُ مَقَامٍ يَقُومُ فِيهِ السَّالِكُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 59]

وَقَالَ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 65]

وَقَالَ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 73]

وَقَالَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 85]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]

ما هو أول واجب على المكلف؟

فالتوحيد هو أصل دين الرسل، وهو أول واجب على المكلفين، كما قال صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) مع شهادة أن محمدا رسول الله؛ لأن الشهادتين متلازمتان لا تصح إحداهما إلا بالأخرى، فلابد منهما جميعا، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) فَعَدَّ هذه الشهادة واحدا من المباني الخمسة.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ – وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ – فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» (متفق عليه)

عبد الرحمن بن حسن رحمه الله:

وأهل الكتاب المذكورون في هذا الحديث...كانوا يقولونها، لكنهم جهلوا معناها الذي دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه، فكان قولهم لا إله إلا الله لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هذه الكلمة كحال أكثر المتأخرين من هذه الأمة؛ فإنهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الأموات والغائبين والطواغيت والمشاهد...

وفيه دليل أن توحيد العبادة هو أول واجب؛ لأنه أساس الملة وأصل دين الإسلام. (قرة عيون الموحدين، ص:٣٦)

قال الإمام علي بن أبي العز الحنفي رحمه الله:

وَلِهَذَا كَانَ الصَّحِيحُ أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ، شَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...

بَلْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الْعَبْدُ الشَّهَادَتَانِ...

فَالتَّوْحِيدُ أَوَّلُ مَا يُدْخَلُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَآخِرُ مَا يُخْرَجُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ». وَهُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ وَآخِرُ وَاجِبٍ.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص:٨٥)

قال الشيخ قاري محمد طيب رحمه الله:

بدأ بالتوحيد لأنه أول ركن من أركان الإسلام وأول أساس من أسس الدين واليقين، وأول ما يجب على المكلف، وأول دعوة الرسل عليهم السلام في الأمم قرناً بعد قرن ودهراً بعد دهر.

(حاشية عقيدة الطحاوي، ص: ٣٢)

الإيمان بالله تعالى

قَوْلُهُ: نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ، مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

تعريف التوحيد!

والتوحيد في اللغة: مشتق من وحّد الشيء إذا جعله واحداً، فهو مصدر وحّد يُوحّدُ، ومنه وَحّد البَلْدَة؛ أي: جعلها واحدة تحت حاكم واحد.

تدور مادة (وحد) على الانفراد والاختصاص.

قال الإمام الجوهري رحمه الله: الْوحْدة: الانفراد، تقول رأيتُه وحده.

(الصحاح)

قال الإمام الزجاجي رحمه الله (م ٣٤٠): ويقال رجلٌ وحْدٌ للمنفرد.

(إشتقاق أسماء الله، ص:٩١)

وفي الشرع: إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وقال أبو القاسم التميمي في كتاب الحجة التوحيد مصدر وحَّدَ يُوحِّدُ، ومعنى وَحَّدْتُ الله اعتقدته منفردا بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه، وقيل معنى وحدته علمته واحدا، وقيل سلبت عنه الكيفية والكمية فهو واحد في ذاته لا انقسام له، وفي صفاته لا شبيه له، في إلهيته وملكه وتدبيره لا شريك له ولا رب سواه ولا خالق غيره.

(فتح الباري، ١٣: ٣٥٧)

وقد ذكر بعض العلماء أن التوحيد هو جعل الشيء واحدا، وهذا لا يصح أن يقال في توحيد الله تعالى، فإن وحدانيّة الله تعالى ذاتيّة ليست بجعل جاعل كما ذكر ذلك العلامة السفاريني رحمه الله إذ يقول:

"والتوحيد تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب، لا للجعل فمعنى وَحَّدْتُ اللهَ نسبت إليه الوحدانية، لا جعلته واحدا، فإن وحدانية الله تعالى ذاتية له ليست بجعل جاعل."

(لوامع الأنوار البهية)

الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله:

والتوحيد مصدر وحد يوحد، توحيدا، أي: جعله واحدا، وسمي دين الإسلام توحيدا، لأنَّ مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله، وهي متلازمة، كل نوع منها لا ينفكّ عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب.

(تيسير العزيز الحميد، ١: ١٢٠)

أقسام التوحيد!

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

1- توحيد الربوبية. 2- توحيد الألوهية. 3- توحيد الأسماء والصفات.

القسم الأول: توحيد الربوبية:

هو إفراد الله عز وجل بالخلق، والملك، والتدبير.

فإفراده بالخلق: أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله، قال تعالى:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]

وأما إفراد الله بالملك:

فأن يعتقد الإنسان أنه لا يملك الخلق إلا خالقهم؛ كما قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[آل عمران: 19]

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾

[المؤمنون: 88].

وأما إفراد الله بالتدبير:

فهو أن يعتقد الإنسان أنه لا مدبر إلا الله وحده؛ كما قال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾

[يونس: 31]

وهذا القسم من التوحيد لم يعارض فيه المشركون الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم، بل كانوا مقرين به، قال تعالى:

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[لقمان: 25]

أقسام التوحيد!

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

1- توحيد الربوبية. 2- توحيد الألوهية. 3- توحيد الأسماء والصفات.

القسم الأول: توحيد الربوبية:

هو إفراد الله عز وجل بالخلق، والملك، والتدبير.

القسم الثاني: توحيد الألوهية:

ويقال له: توحيد العبادة أيضا؛ فباعتبار إضافته إلى الله يسمى: توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمى توحيد العبادة.

هو إفراد الله بالعبادة، هو الإقرار بأنه لا معبود بحق سواه، فهو الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، وتحقيق ذلك بالفعل وهو: تخصيصه تعالى بالعبادة.

قَالَ اللهُ تَعَالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)

وَ قَالَ:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

(الإسراء:٢٣)

قال العلامة محمّد الأمين الشنقيطي رحمه الله:

معناها: خلع جميع المعبودات غير الله جل وعلا في جميع أنواع العبادات، وإفراده جل وعلا وحده بجميع أنواع العبادات، فيدخل في ذلك جميع الأوامر والنواهي القولية والفعلية والاعتقادية.

(أضواء البيان)

قال الشيخ محمّد بن صالح العثيمين رحمه الله:

وهذا القسم كفر به وجحده أكثر الخلق، ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل، وأنزل عليهم الكتب، قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: 25)

(القول المفيد، ١: ١١)

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

وهو إفراد الله عز وجل بما له من الأسماء والصفات.

وهذا يتضمن شيئين:

الأول: الإثبات، وذلك بأن نُثْبِتَ لله عز وجل جميع أسمائه وصفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

الثاني: نفي المماثلة، وذلك بأن لا نجعل لله مثيلاً في أسمائه وصفاته؛ كما قال تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: 11)

قال الشيخ محمّد بن صالح العثيمين رحمه الله:

فدلت هذه الآية على أن جميع صفاته لا يماثله فيها أحد من المخلوقين: فهي وإن اشتركت في أصل المعنى، لكن تختلف في حقيقة الحال، فمن لم يثبت ما أثبته الله لنفسه؛ فهو معطل... ومن أثبتها مع التشبيه صار مشابها ..... ومن أثبتها بدون مماثلة صار من الموحّدين.

(القول المفيد، ١: ١٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

فَكَانَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وأَئِمَّتُهَا كأَئِمَّةِ الْمَذَاهِبِ: مِثْلِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأحْمد وَغَيْرِهِمْ، عَلَى هذَا، إثْباتٌ بلا تشْبيه، وتنْزيهٌ بلا تعطيل. لَا يَقُولُونَ بِقَوْلِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، نُفَاةِ الصِّفَاتِ. وَلَا بِقَوْلِ أَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ لِلْخالِقِ بِالْمخْلُوقَاتِ، فَهذِهِ طَرِيقَةُ الرُّسُلِ، وَمَنْ آمَنَ بِهِمْ.

(مجموع الفتاوى، ١١: ٤٨٣)

توحيد في المعرفة والإثبات، أو توحيد في العلم والقول، أو: التوحيد العلمي الخبري،أو هو التوحيد الاعتقادي، وهذا القسم يشمل: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، لأن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات كل منهما توحيد يتعلق بالعلم، فهو اعتقادي علمي فقط، والنصوص الدالة عليهما كلها نصوص خبرية، يعني من نوع الخبر.

توحيد الإلوهية، أو توحيد العبادة، أو توحيد الإرادة والقصد والعمل، أو التوحيد الطلبي؛ لأن نصوصه طلبيه.

الإيمان بالله تعالى

قَوْلُهُ: نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ، مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

(إنّ الله واحدٌ)

لفظ (واحدٌ) من أسماء الله الحسنى، كما قال الله عز وجل:

﴿هُوَ اللَّهُ الواحدُ القَهَّارُ﴾ (الزمر: ٤)

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتفرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الواحدُ القَهَّارُ﴾

(يوسف: ٣٩)

من أسمائه الحسنى أيضاً الأحد، قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أحدٌ﴾ (الإخلاص: ١)

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

وَالْمَشْهُورُ عِنْدَ أَهْلِ النَّظَرِ إِثْبَاتُهُ بدليل التمانع، وَهُوَ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ فَعِنْدَ اخْتِلَافِهِمَا مِثْلَ أَنْ يُرِيدَ أَحَدُهُمَا تَحْرِيكَ جِسْمٍ وَآخَرُ تَسْكِينَهُ، أَوْ يُرِيدَ أَحَدُهُمَا إِحْيَاءَهُ وَالْآخَرُ إِمَاتَتَهُ: فَإِمَّا أَنْ يَحْصُلَ مُرَادُهُمَا، أَوْ مُرَادُ أَحَدِهِمَا، أَوْ لَا يَحْصُلُ مُرَادُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا...

...وَالْأَوَّلُ مُمْتَنِعٌ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ الْجَمْعَ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ، وَالثَّالِثُ مُمْتَنِعٌ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ خُلُوُّ الْجِسْمِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَهُوَ مُمْتَنِعٌ، وَيَسْتَلْزِمُ أَيْضًا عَجْزَ كُلٍّ مِنْهُمَا، وَالْعاجِزُ لَا يَكُونُ إِلَهًا، وَإِذَا حَصَلَ مُرَادُ أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ، كَانَ هَذَا هُوَ الْإِلَهَ الْقَادِرَ، وَالْآخَرُ عَاجِزًا لَا يَصْلُحُ لِلْإِلَهِيَّةِ.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص:٨٧)

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

(الأنبياء: ٢٢)

قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله:

وكلام المتكلمين في الحجاج في التوحيد بالتمانع والتغالب فإنما مرجعه إلى هذه الآية. وقوله عزوجل: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (المؤمنون: ٩١)

(رسالة استحسان الخوض في علم الكلام، ص: ٤٠)

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

وَانْتِظَامُ أَمْرِ الْعَالَمِ كُلِّهِ وَإِحْكَامُ أَمْرِهِ، مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ مُدَبِّرَهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَمَلِكٌ وَاحِدٌ، وَرَبٌّ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ لِلْخَلْقِ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ لَهُمْ سِوَاهُ. كَمَا قَدْ دَلَّ دليلُ التمانع عَلَى أَنَّ خَالِقَ الْعَالَمِ وَاحِدٌ، لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا إِلَهَ سِوَاهُ، فَذَلِكَ تمانُعٌ فِي الْفِعْلِ وَالْإِيجَادِ، وَهَذَا تمانُعٌ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِلَهِيَّةِ. فَكَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَالَمِ رَبَّانِ خَالِقَانِ مُتَكَافِئَانِ، كَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ إِلَهَانِ مَعْبُودَانِ.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٩٤)

قال الشيخ عبد الرحمن ناصر البراك:

والوحدة تنافي الشريك، ولهذا أكدها بقوله: (لا شريك له)، فهو متفرد عن الشركاء، فهو الربُ ولا ربَ غيره، فهو ربُ كلِ شيء، فهو واحد في ربوبيته، في أفعاله، فلا خالق ولا رازق ولا مدبر لهذا الوجود سواه، وهو واحد في إلهيته فلا إله غيره، ولا شريك له، ولا معبود بحق سواه، وهو واحد في أسمائه وصفاته، فلا شبيه له في شيء من صفاته وأفعاله.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٢٢)

(لا شريك له) هذا عام يشمل نفي الشريك في الربوبية، ونفي الشريك في الألوهية، ونفي الشريك في الأسماء والصفات.

قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

(الأنعام: ١٦٢-١٦٣)

النوعَ الأول: نفي الشريك لله في ربوبيته:

والشَّرِكَة في الربوبية راجِعَةٌ إلى جعل المخلوق له من صفات الرب عزوجل في صفات الربوبية؛ يعني أنْ يَجْعلَ للمخلوق تصرفاً.

إذا جعل للمخلوق تصرفاً في الكون مما يختص به الله عزوجل، فهذا ادَّعَاءٌ للشريك معه في الربوبية.

أو أن يعتقد أنَّ الله معه مُعِينٌ أو ظهير أو وزير.

قال عز وجل:

﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾

(سبإ:22)

النوع الثاني: نفي الشريك لله في إلهيته:

والإلهية معناها العبادة، يعني لا شريك له في عبادته، كما دلت عليها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله وحده لا شريك له).

فيعتقد أنَّ الله عز وجل ليس معه إله يستحق العبادة، وأنَّ كل من أُدُّعِيَ فيه الإلهية وأنه يُعْبَدْ، فإنما عُبِدَ بالبغي والظلم والعدوان والتعدي.

النوع الثالث: نفي الشريك لله في الأسماء والصفات:

وذلك بأنْ يعتقد أنَّ الله عزوجل لا شريك له في كيفية اتصافه بالصفات.

يعني لا مُماثِلَ له، ولا مشابه له في كيفية اتصافه بالصفات.

فيعتقد أنَّهُ لا شريك له في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله سبحانه، بل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

(الشورى: 11)

لأجل هذا المعنى العام، عطَفَ عليها المصنف بقوله (ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره)

قوله: وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ، وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ

فقوله: (وَلا شيءَ مثْلُهُ) راجِعٌ إلى توحيد الأسماء والصفات.

وقوله(وَلا شَيْءَ يُعْجزُهُ) مُثْبِتٌ لتوحيد الربوبية.

وقوله(وَلا إلهَ غَيْرُهُ) مثبتٌ لتوحيد العبادة والألوهية.

أن قوله (ولا شيء مثله) مأخوذٌ من قول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: 11)

ومن قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

(الإخلاص: 4)

ومن قوله تعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾

(مريم: 65)

وأشباه هذه الأدلة التي تدل على أنَّ الله سبحانه لا يماثله شيء من مخلوقاته.

وهذا فيه رد على المشبّهة الذين يعتقدون أن الله مثلُ خَلْقِه، ولا يُفرّقون بين الخالق والمخلوق.

وفي مقابله مذهب المعطّلة: الذين غَلَوا في التنزيه حتى نفوا عن الله ما أثبته من الأسماء والصفات، فراراً من التشبيه بزعمهم.

فكلا الطائفتين غلت، المعطلة غلوا في التنزيه ونفي المماثلة، والمشبهة غلوا في الإثبات، وأهل السنة والجماعة توسّطوا.

فاتبعوا ما أثبته الله لنفسه على ما يليق بجلاله، من غير تشبيه ولا تعطيل على حد قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: 11)

فقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ نفي للتشبيه، وقوله: ﴿وهو السميع البصير﴾ نفي للتعطيل، وهذا المذهب الذي يسير عليه أهل السنة والجماعة.

ولهذا يُقال: المُعطّلُ يعبد عدماً، والمُشَبّهُ يعبد صنماً، والموحد يعبد إلهاً واحداً فرداً صمداً.

الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذاته، وَلَا فِي صفاته، وَلَا فِي أفعاله، وَلَكِنَّ لَفْظَ "التشبيه" قَدْ صَارَ فِي كَلَامِ النَّاسِ لَفْظًا مُجْمَلًا يراد به الْمعْنَى الصَّحِيحُ، وَهُوَ مَا نَفَاهُ الْقُرْآنُ وَدَلَّ عَلَيْهِ الْعقْلُ، مِنْ أَنَّ خَصَائِصَ الرَّبِّ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَا يُمَاثِلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رَدٌّ عَلَى الْمُمَثِّلَةِ الْمُشَبِّهَةِ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رَدٌّ عَلَى النُّفَاةِ الْمُعَطِّلَةِ...

فَمَنْ جَعَلَ صِفَاتِ الْخَالِقِ مِثْلَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، فَهُوَ الْمُشَبِّهُ الْمُبْطِلُ الْمَذْمُومُ، وَمَنْ جَعَلَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ مِثْلَ صِفَاتِ الْخَالِقِ، فَهُوَ نَظِيرُ النَّصَارَى فِي كُفْرِهِمْ، وَيُرَادُ بِهِ أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ لِلَّهِ شَيْءٌ مِنَ الصِّفَاتِ، فَلَا يُقَالُ: لَهُ قُدْرَةٌ، وَلَا عِلْمٌ، وَلَا حَيَاةٌ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ مَوْصُوفٌ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص:١٠٣)

الشيخ عبد الرحمن البراك:

يجب الإيمان بأنه تعالى موصوف بصفات الكمال، وأن إثبات صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه ليست من التشبيه في شيء خلافا للمُعَطِّلة من الجَهْمِيَّة والمُعْتَزِلة ومن وافقهم؛ فإنهم يزعُمون أن إثبات الصفات تشبيه فينفونها بهذه الشبهة، وبشبهٍ أخرى...

وأصل هذه الشبهة قولهم: المخلوق يُوْصَفُ بأنه عليم وأنه سميع وأنه بصير وأنه حي وأنه يرضى ويغضب ويحب، فلو أثبتنا هذه الصفات لله كان مماثلا للمخلوق...

وقد رد عليهم أهل السنة واحتجوا عليهم بما يُفحِمهم، ومن ذلك أن يقال: يَلزَمُكم أن تقولوا: إنَّ وصفَه تعالى بالوجود تشبيه، فالمخلوق موجود، وهذا ظاهر الفساد والبطلان، فالله تعالى موجود والمخلوق موجود، ولكل منهما وجود يخصه، وليس الموجود كالموجود.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٣٠)

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ:

فإنَّ اعتقاد المماثلة في الكيفية أو في الصفات على النحو الذي ذكرتُ هذا تمثيل يَكْفُر صاحبه.

ولهذا كَفَّرَ أهلُ السنة النصارى، وكَفَّرَ أهلُ السنة المُجسّمة؛ لأنَّ النصارى شَبَّهُوا المخلوق بالخالق، وشَبَّهُوا عيسى بالله عز وجل، والمُجَسّمَة شَبَّهُوا الله عز وجل ومثَّلُوه بخلقه.

(شرح العقيدة الطحاوية، ١: ٥٣)

القاعدة:

فطريقة أهل السنة أنَّ النفى يكون مُجملاً وأن الإثبات يكون مُفصلاً على قوله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

وهذا بخلاف طريقة أهل البدع فإنهم يجعلون الإثبات مُجمَلاً، والنفي مُفَصَّلاً. فيقولون في صفة الله عز وجل: إن الله ليس بجسمٍ ولا بصورةٍ ولا بذي أعضاء ولا بذي جوارح ولا فوق ولا تحت ولا عن يمين ولا عن شمال ولا قُدّام ولا خلف وليس بذي دم ولا هو خارج ولا داخل إلى آخر تصنيفهم للمنفيات. وإذا أتى الإثبات. إنما أثبتوا مُجْمَلاً.

قوله: ولا شيْء مثلُهُ، ولا شيْء يُعْجزُهُ، ولا إله غيْرُهُ.

فقوله: (ولا شيء مثلُهُ) راجعٌ إلى توحيد الاسماء والصفات.

وقوله(ولا شيْء يُعْجزُهُ) مُثْبتٌ لتوحيد الربوبية.

وقوله(ولا إله غيْرُهُ) مثبتٌ لتوحيد العبادة والألوهية.

قوله: (ولا شيء يعجزه)

قال الله تعالى:

﴿وما كان اللّهُ ليعجزهُ من شيء في السّماوات ولا في الأرْض إنّهُ كان عليمًا قديرًا﴾ (فاطر: ٤٤)

وقال تعالى:

﴿ولقدْ خلقْنا السّماوات والأرْض وما بيْنهُما في ستّة أيّامٍ وما مسّنا من لُغوب﴾ (ق:٣٨)

ونفي العجز في الآية جاء مُعلّلاً بكمال علمه وقدرته؛ وذلك لأنّ العجز في الجملة:

- إما أن يرجع إلى عدم علم، فلأجل عدم علمه بالأمر عجز عنه.
- وإما أن يرجع لعدم القدرة، فعلم ولكن لا يقدر على إنفاذ ما علم أو ما يريد.
- وإما أن يرجع إليهما معا.

القاعدة:

كل ما يوصف الله به من النفي فإنه متضمن لإثبات كمال، فالله تعالى لا يوصف بنفي محض لا يدل على ثبوت؛ فإن النفي المحض ليس فيه مدح، وإنما المدح في النفي المتضمن للكمال.

ولذلك نقرر القاعدة: أنّ النفي في الكتاب والسنة انما هو لاثبات كمال الضد.

الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

كلُّ نفْيٍ يأْتي في صفات الله تعالى في الْكتاب والسُّنّة إنّما هُو لثبوت كمال ضدّه، كقوْله تعالى: ﴿ولا يظْلمُ ربُّك أحدًا﴾، لكمال عدْله، ﴿لا يعْزُبُ عنْهُ مثْقالُ ذرّةٍ في السّماوات ولا في الْأرْض﴾ لكمال علْمه، وقوْلُهُ تعالى: ﴿وما مسّنا منْ لُغوبٍ﴾ لكمال قُدْرته، ﴿لا تأْخُذُهُ سنةٌ ولا نوْمٌ﴾ لكمال حياته وقيُّوميّته، ﴿لا تُدْركُهُ الْأبْصارُ﴾، لكمال جلاله وعظمته وكبْريائه، وإلّا فالنفي الصّرف لا مدْح فيه.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص:١٠٩)

الشيخ عبد الرحمن البراك:

أما المعطلة فإنهم يصفونه بالنفي المحض؛ لأنهم قد يقولون: إن الله لا يجهل، وقد يقولون: إن الله لا يعجز، فيصفونه بالنفي، لكنهم لا يثبتون الأضداد، فيصفونه بالنفي المحض.

ولهذا جاء في المناظرة التي جرت بين عبد العزيز الكناني رحمه الله وبين بشر المريسي أنه لما طالبه بوصف الله بالعلم قال: أقول الله لا يجهل! لأن عنده أن نفي الجهل لا يستلزم إثبات علم، فيقول: الله لا يجهل.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٣٤)

قوله: (ولا اله غيرة)

لقوله تعالى عن نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام:

﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيرة ﴾ (الأعراف)

هذه كلمة التوحيد، وهذه الكلمة يأتي فيها ذكر الله بالاسم الظاهر، وبضمير المتكلم والمخاطب والغائب.

قال تعالى لموسى: ﴿ لا إله إلا أنا فاعبدني ﴾ (طه: ١٤)

وقال يونس عليه السلام: ﴿ لا إله إلا أنت ﴾ (الأنبياء: ٨٧)

وقال تعالى ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ (آل عمران: ١٨)

وزن الإله، إله (فعال) بمعنى مفعولٌ يعني مألوه.

سُمّي إلهَ لأنه مألوهٌ.

والمألوهُ مفعول من المصدر وهو الإلاهة.

والإلاهة مصدر أله يألهُ إلاهة وألوهة إذا عبد مع الحب والذل والرضا.

فإذاً صارت كلمة الإله هي المعبود، والإلاهة والألوهية هي العبودية إذا كانت مع المحبة والرضا.

فصار معنى الإله إذاً هو الذي يُعبدُ مع المحبة والرضا والذل.

اعراب كلمة التوحيد (لا اله الا الله)

(لا) نافية للجنس.

(اله) هو اسمها مبني على الفتح.

وحق: هو الخبر، وهو المحذوف.

و(إلا الله):

(الا) أداة استثناء.

(الله) مرفوع، وهو بدل من الخبر.

انّ الاثبات بعد النفي اعظم دلالة في الاثبات من اثبات مجرد بلا نفي.

وخبر (لا) النافية للجنس يحذف كثيرا وبشيوعٍ إذا كان معلوما لدى السامع، كما قال ابن مالك في الألفية في البيت المشهور:

وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر إذا المراد مع سقوطه ظهر

فإذا ظهر المراد مع السقوط جاز الإسقاط.

وسبب الإسقاط؛ إسقاط كلمة (حق)، (لا إله حق إلا الله) أنّ المشركين لم ينازعوا في وجود إله مع الله عز وجل، وإنما نازعوا في أحقّية الله عزوجل بالعبادة دون غيره، وأنّ غيره لا يستحق العبادة.

(ولا اله غيرُهُ)

أنَّ هذه الكلمة فيها إثبات توحيد العبادة لله تعالى.

وتوحيد العبادة لله لا يستقيم إلا بشيئين : بنفي وباثبات.

فالنفي وحده لا يكون به المرء موحداً، والإثبات وحده لا يكون به المرء موحداً، حتى يجمع ما بين النفي والإثبات.

نفي استحقاق العبادة لأحد من هذه الآلهة الباطلة، واثبات استحقاق العبادة الحقة لله عز وجل وحده دون ما سواه.

وهذا هو معنى الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، فلا يستقيم توحيد أحد حتى يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله:

لا إله إلا الله؛ لأن معناها مركب من أمرين: نفي وإثبات. فالنفي: خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، والإثبات: إفراد رب السماوات والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع.

(أضواء البيان، ١ :٦٢)

قال الشيخ عبد الرحمن البراك:

ف(لا إله إلا الله) تتضمن الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، وتتضمن التولي لله ومحبته وإجلاله، والبراءة من كل معبود سواه كما قال الخليل لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾

(الزخرف: ٢٦ — ٢٧)

قوله: قَديمٌ بلَا ابْتدَاءٍ، دَائِمٌ بلَا انْتهاءٍ، لَا يَفنَى ولَا يَبِيدُ.

لما ذكر رحمه الله بعض ما يجب تنزيه الله تعالى عنه من الشَّريك والشَّبيه والعجز، ذكر أنَّ مما يجب إثباته لله القدم والدوام، أي: دوام الوجود أزلا وأبدا، فهو تعالى دائم أزلا وأبدا، فلا ابتداء ولا نهاية لوجوده.

أراد رحمه الله بذلك أنْ يُبيّنَ أنَّ الله عز وجل منزّهٌ عمّا خلق، فهو سبحانه خَلَقَ الزمانَ، والزمان لا يَحْويه، وكذلك خلق المكان، والمكان لا يَحْويه، وأنّ الله عز وجل سبق الزمان، وأيضا سيدوم بعد انتهاء الزمان بلا انتهاء.

(قَديمٌ بلا ابتدَاء) راجع إلى أزليته؛ (دَائمٌ بلا انْتهاء) راجع إلى أبديته.

والقَديم في اللغة ضد الحديث.

قال تعالى:

﴿والْقمرَ قدَّرْناهُ منازِل حتَّى عادَ كالْعُرْجُون الْقديم﴾

(يس: ٣٩)

وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿قالَ أفرأيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ، أنتُمْ وآباؤُكُمُ الأقْدمُون﴾

(الشعراء:٧٥-٧٦)

وأصل القديم المتقدّمُ على غيره فيشمل التقدم المطلق، والتقدم النسبي؛ فالتقدم النسبي للمخلوقات؛ فبعضها متقدّمٌ على بعض، وأما التقدم المطلق فهو لله تعالى، فهو سابق في وجوده لكل شيء، ولا بداية لوجوده.

هل القديم والدائم من أسماء الله تعالى؟

وهذان الوصفان حق؛ لكن ليس هذان الاسمان من أسمائه الحسنى التي يثنى عليه بها، ويدعى بها، فلا يقال: يا قديم، أو سبحان القديم، كما لا يقال: يا موجود، أو سبحان الموجود.

فإن القديم والدائم لم يردا في الكتاب والسنة، وإنما الوارد: الأول والآخر، كما قال تعالى:

﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

(الحديد: 3)

وفي السنة: «اللهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فليْسَ قَبْلَكَ شيْءٌ، وأَنْتَ الآخِرُ فليْسَ بَعْدَكَ شيْءٌ»

(رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة)

الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

وقَدْ أَدْخَلَ الْمُتكلِّمُونَ في أَسْماءِ اللَّهِ تَعالى "الْقديمَ"، وليسَ هُو منْ أسْماءِ الله تعالى الْحُسْنى، فَإِنَّ الْقديمَ في لُغةِ الْعرَبِ الَّتي نَزل بِهَا الْقُرْآنُ: هُوَ الْمُتقدِّمُ على غَيْرِه، فَيُقَالُ: هذا قديمٌ، لِلْعتيقِ، وهذا حديثٌ، لِلْجديد...

وَجاءَ الشَّرْعُ بِاسْمِه "الْأَوَّل"، وهُوَ أَحْسَنُ منَ "الْقديم"؛ لأَنَّهُ يُشْعِرُ بِأَنَّ مَا بَعْدَهُ آيلٌ إِليْه، وتَابعٌ لَهُ، بِخلَافِ الْقَديم.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص:١١٣-١١٤)

قال الشيخ عبد الرحمن البراك:

وغلب على أهل الكلام إطلاق لفظ (القديم) على الله تعالى فيقولون: هذا يجوز على القديم، وهذا لا يجوز على القديم؛ فجعلوه اسما لله تعالى، وهذا من أغلاطهم.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٤٠)

قال الشيخ القاري محمد طيب رحمه الله:

لكنْ جاءَ الشّرْعُ باسْمِ الأوّل وهو احسنُ من القديم، لِأَنّهُ يُشْعِرُ بأنّ مَا بَعْدَهُ آيلٌ إليْه، وَتابعٌ لَهُ، بخلافِ القديم.

(حاشية العقيدة الطحاوية، ص: ٣٤)

ما ضابط كون الاسم من الأسماء الحسنى؟

الاسم يكون من أسماء الله الحسنى إذا اجتمعت فيه ثلاثة أمور:

– الاول: أن يكون قد جاء في الكتاب والسنة، يعني نُصَّ عليه في الكتاب والسنة، نُصَّ عليه بالاسم لا بالفعل، ولا بالمصدر.

– الثاني: أن يكون مما يُدْعَى الله عز وجل به.

–الثالث: أن يكون متضمّنا لمدحٍ كاملٍ مطلقٍ غير مخصوص.

القاعدة

باب الإخبار عن الله عز وجل أوسع من باب الصفات، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء الحسنى.

قال الشيخ عبد الرحمن البراك:

لكن القديم والدائم يصح الأخبار بهما عن الله مثل أن تقول: الله موجود، والله شيء، والله له ذات، والله قديم، والله دائم، لكن لا تقل: من أسمائه (قديم) بل من أسمائه (الأول) قال تعالى: ﴿وللّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ ففي الدعاء إنما يدعى الله بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٤٠)

(لَا يفنَى وَلَا يَبِيدُ)

هذه تأكيد لقوله (بلا انتهاء).

والفناء والبَيد معناهما واحد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ علَيْها فانٍ﴾

(الرحمن: 26)

وقال الكافر صاحب الجنة: ﴿ما أظُنُّ أنْ تبيد هَذهِ أبدًا﴾

(الكهف: 35)

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

وَالْفَنَاءُ وَالْبَيْدُ مُتَقَارِبَانِ فِي الْمَعْنَى، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فِي الذِّكْرِ لِلتَّأْكِيدِ، وَهُوَ أَيْضًا مُقَرِّرٌ وَمُؤَكِّدٌ لِقَوْلِهِ: دائمٌ بلا انتهاء.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ١١٤)

وقوله: وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (هود: ١٠٧)

وقال تعالى:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
(يس: ٨٢)

(وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ) أَرَادَ بِالإِرادَةِ هُنَا الْمَشِيْئَة.

وَالْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: الْإِرَادَةُ فِي كِتَابِ اللهِ نَوْعَانِ:

١. إِرَادَةٌ قَدَرِيَّةٌ كَوْنِيَّةٌ خَلْقِيَّةٌ،

٢. وَإِرَادَةٌ دِينِيَّةٌ أَمْرِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ.

الفرق بين الإرادة الكونية و الإرادة الشرعية؟؟

والفرق بين الإرادتين من وجهين:

الأول: أن الإرادة الكونية عامةٌ لكل ما يكون، لا يخرج عنها شيء، فتشمل ما يحبه الله وما يبغضه الله.

فإيمان المؤمنين وطاعة المطيعين، وكفر الكافرين ومعصية العاصين، كل ذلك بإرادته الكونية.

وأما الإرادة الشرعية: فإنها تَخْتَصُّ بما يحبه الله سبحانه وتعالى.

إذًا؛ الإرادة الكونية عامة، وهذه خاصة.

القاعدة:

الإرادةُ الكونيةُ لا تَسْتَلْزِمَ المحبةَ، وأما الإرادة الشرعية فإنها تَسْتَلْزِمَ المحبة.

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

فَالْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ هِيَ الْمُتَضَمِّنَةُ لِلْمَحَبَّةِ وَالرِّضَا، وَالْكَوْنِيَّةُ هِيَ الْمَشِيئَةُ الشَّامِلَةُ لِجَمِيعِ الْحَوادث.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ١١٥)

والفرق الثاني: أن الإرادة الكونية لا يَتَخَلَّفُ مرادها أبدا، وأما الإرادة الشرعية: فإنه لا يلزم منها وقوع المراد.

وتجتمع الإرادتان في إيمان المؤمن، فهو مرادٌ لله كونا، ومرادٌ شرعا، فهو مرادٌ بالإرادتين.

قال الشيخ عبد الرحمن البراك:

لكن الإرادة الشرعية لا تفسر بالمشيئة، فلا نقول: إن الله شاء الإيمان من أبي جهل، لكن نقول: إن الله أراد منه الإيمان، يعني: الإرادة الشرعية، وأمره بالإيمان الأمر الشرعي.

وبهذه المناسبة الصحيح أن المشيئة لا تنقسم، فلا يقال: إن المشيئة نوعان شرعية وكونية.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٤٢)

والقضاء:

﴿وقَضَيْنا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾

(الإسراء: ٤)

هذا قضاء كوني.

﴿وقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾

(الإسراء: ٢٣)

هذا قضاء شرعي.

والتحريم:

﴿وحرَّمنا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾

(القصص: ١٢)

هذا تحريم كوني.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾

(المائدة: ٣)

هذا تحريم شرعي.

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

هَذَا رَدٌّ لِقَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ اللهَ أَرادَ الإِيمَانَ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَالْكَافِرُ أَرادَ الْكُفْرَ، وَقَوْلُهُمْ فَاسِدٌ مَرْدُودٌ لِمُخَالَفَتِهِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْمَعْقُولَ الصَّحِيحَ، وَهِيَ: مَسْأَلَةُ الْقَدَرِ الْمَشْهُورَةُ، وَسَيَأْتِي لَهَا زِيَادَةُ بَيَانٍ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ١١٤)

وقال رحمه الله أيضا:

وأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَعَاصِيَ قَدَرًا، فَهُوَ لَا يُحِبُّهَا وَلَا يَرْضَاهَا، وَلَا يَأْمُرُ بِهَا، بَلْ يُبْغِضُهَا، وَيَسْخَطُهَا، وَيَكْرَهُهَا، وَيَنْهَى عَنْهَا، وَهَذَا قَوْلُ السَّلَفِ قَاطِبَةً، فَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

(المرجع السابق)

وقوله: لا تبلغه الاوهام، ولا تدركه الافهام

(لا تبلغه الاوهام) يعني الظنون والخيال، فلا تبلغه ظنون الظانين، ولا خيال المتخيلين، فلا يمكن للعباد أن يدركوا حقيقة ذات الرب أو شيء من صفاته بوهم وتخيل أبدا.

(ولا تدركه الافهام) فالعباد يعرفون ربهم، لكنهم لا يحيطون به علما؛ لذلك قال: (لا تدركه) الإدراك فيه الإحاطة.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك:

ولم يقل لا تعرفه الأفهام ولا يعرفه العباد! لا، العبادُ يعرفون ربهم على حسب مراتبهم في معرفة ربهم لكنهم لا يحيطون به علما، قال تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ﴾ وقال تعالى: ﴿ولا يُحيطُونَ به علْماً﴾ والله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْس كمثْله شيْءٌ﴾.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص:٤٥)

الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

قَالَ فِي الصّحاحِ: تَوهَّمْتُ الشَّيْءَ: ظَننتُهُ، وفَهِمْتُ الشَّيْءَ: علمتُهُ. فَمُرَادُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أنَهُ لا يَنْتَهِي إليه وَهْمٌ، ولا يُحِيطُ به عِلْمٌ، قِيلَ: الْوَهْمُ مَا يُرْجَى كَوْنُهُ، أيْ: يُظَنُّ أنَّهُ عَلَى صِيغة كَذَا، والْفَهْمُ: هُو مَا يُحَصّلُهُ الْعَقْلُ وَيُحِيطُ بِهِ. وَاللَّهُ تَعالَى لَا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ سُبْحانَهُ إلَّا هُوَ سُبْحانَهُ وتَعالَى، وإنَّما نَعْرِفُهُ سُبْحانَهُ بِصفَاتِهِ، وَهُوَ أنَّهُ أحَدٌ، صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص:١١٧)

قَوْلُهُ: ولا يُشبِهُ الأنام

أي لا يشبه الناس، ولا يشبه شيئا من المخلوقات، هذا ردٌّ لقَوْل الْمُشَبِّهة، الَّذين يُشبِّهُون الْخالق بالْمخْلُوق.

قال عزّ وجلّ: ﴿ليْس كمثْله شَيْءٌ وهُو السّميعُ الْبصيرُ﴾ (الشورى: ١١)

ولَيْسَ الْمُرادُ نَفْي الصّفات كما يقُولُ أهْلُ الْبدع، ففي الفقه الأكبر: لا يُشْبِهُ شيْئًا مِنْ خلْقه. ثُمّ قال بعْد ذلك: وَصِفاتُهُ كُلُّها خِلافُ صفات الْمخْلُوقِينَ، يعْلمُ لا كعلْمِنا، ويقْدِرُ لا كقُدْرتنا، وَيرى لا كرُؤْيتنا.

قال الشيخ القاري محمد طيب رحمه الله:

فهو يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويسمع لا كسمعنا، وهكذا يعرُج لا كعروجنا، وينزل لا كنزولنا، ويَضْحَكُ لا كضحكنا، ويستوي على العرش لا كاستوائنا على عروشنا، لأنه ليس كمثلنا، فليس له مَثَلٌ ولا مثال.

(حاشية عقيدة الطحاوي، ص:٣٦)

انواع التمثيل!

والتمثيل الذي يجب نفيه عن الله نوعان:

١ . تمثيل الخالق بالمخلوق.

٢ . وتمثيل المخلوق بالخالق.

وضابط ذلك: وصف الخالق بخصائص المخلوق هذا تشبيهٌ للخالق بالمخلوق، ووصف المخلوق بخصائص الخالق تشبيهٌ للمخلوقين بالخالق.

• وقالَ نُعيْمُ بْنُ حمَّادٍ رحمه الله: مَنْ شبَّه اللَّه بِشيْءٍ من خلْقه فقدْ كفرَ، ومَنْ أنكر مَا وصفَ اللّهُ به نفْسَهُ فقدْ كفرَ، وليْسَ فيما وصفَ اللّهُ به نفْسَهُ ولا رَسُولُهُ تَشْبيهٌ.

• وقالَ إسْحاقُ بْنُ راهويْه رحمه الله: مَنْ وصفَ اللّه بشيء فشبّه صفاته بصفات أحدٍ مِنْ خلْق اللّه فهُوَ كافرٌ باللّهِ العْظيم.

(شرح أصول أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي)

الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

وَمَنْ أَنْكَرَ الصِّفَاتِ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا كَلَامٌ وَلَا مَحَبَّةٌ وَلَا إِرَادَةٌ، قَالَ لِمَنْ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ: إِنَّهُ مُشَبِّهٌ، وَإِنَّهُ مُجَسِّمٌ. وَلِهَذَا كُتُبُ نُفَاةِ الصِّفَاتِ، مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ، كُلُّهَا مَشْحُونَةٌ بِتَسْمِيَةِ مُثْبِتَةِ الصِّفَاتِ مُشَبِّهَةً وَمُجَسِّمَةً، وَيَقُولُونَ فِي كُتُبِهِمْ: إِنَّ مِنْ جُمْلَةِ الْمُجَسِّمَةِ قَوْمًا يُقَالُ لَهُمُ: الْمَالِكِيَّةُ، يُنْسَبُونَ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَقَوْمًا يُقَالُ لَهُمُ الشَّافِعِيَّةُ، يُنْسَبُونَ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص:١١٨)

وَلَكِنَّ الْمَشْهُورَ مِنِ اسْتِعْمَالِ هَذَا اللَّفْظِ عِنْدَ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ الْمَشْهُورِينَ: أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ بِنَفْيِ التَّشْبِيهِ نَفْيَ الصِّفَاتِ، وَلَا يَصِفُونَ بِهِ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ، بَلْ مُرَادُهُمْ أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ الْمَخْلُوقَ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ أَبِي حَنِيفَةَ: أَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ لَا كَعِلْمِنَا، وَيَقْدِرُ لَا كَقُدْرَتِنَا، وَيَرَى لَا كَرُؤْيَتِنَا، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فَنَفَى الْمِثْلَ وَأَثْبَتَ الْوَصْفَ.

(المرجع السابق، ص:١١٩)

فقول المؤلف: (وَلَا شَيْءٌ مِثْلُهُ) هذا نفيٌ لتمثيل المخلوق بالخالق.

وقوله: (وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ) نفيٌ لمماثلة الخالق للمخلوق.

وأفادت الجملتان نفي التشبيه أو نفي التمثيل بنوعيه، وهذا هو المطلوب.

قَوْلُهُ: حيٌ لا يمُوتُ قيُّومٌ لا ينامُ

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

وَفي ذَلكَ إشارةٌ إلَى أنَّ نفْيَ التَّشْبيه ليسَ المُرادُ منْهُ نفْيَ الصِّفات، بَلْ هُو سُبْحانَهُ مَوْصُوفٌ بِصفاتِ الْكَمالِ، لِكَمالِ ذَاته.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ١٢٠)

بعض الفروق بين صفات الحق وصفات الخلق!

وصفات الحق عز وجل مباينة لصفات المخلوق من جهات:

١. أنّ الرب عز وجل يتصف بالصفة على وجه الكمال، والمخلوق يتصف بالصفة على وجه النقص.

٢. أنّ الرب عز وجل صفاته متلازمة؛ لأنه سبحانه له الكمال المطلق، وله الصفات العُلا الكاملة من كل وجه، وأما المخلوق فصفاته غير متلازمة بل قد يكون فيه جملة من صفات النقص.

٣. أنَّ اتصاف المخلوق بالصفات، وإن كان في أصل المعنى مُشتركة مع صفات الحق عز وجل لكنه اتصف بها على وجه الحاجة إليها، وأما الرب عز وجل فهو متصف بصفاته لا على وجه الحاجة، فمثلا المخلوق يُقدّرُ أو يُقيّمُ الأشياء لحاجته، ويخلق ما يخلق لحاجته، والله سبحانه وتعالى (خالقٌ بلا حاجة).

قال تعالى: ﴿أَنْتُمْ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

(فاطر:15)

الحَيُّ الْقَيُّوم اسمان من أسمائه الحسنى التي سَمّى بها نفسه.

فأما (الْحيُّ) فقد ورد في مواضع كثيرة في القرآن، وأما (الْقَيُّوم) فقد ورد في ثلاثة مواضع مقرونا بالْحيّ: في آية الكرسي، وأول سورة آل عمران، وفي سورة طه ﴿وعنت الْوُجُوهُ لِلْحيّ الْقَيُّوم﴾ حتى قيل: إنهما (الاسم الأعظم).

وأما الْحيُّ فقد ورد غير مقرون بهذا الاسم ﴿وتوكّلْ على الحيّ الّذي لا يَمُوتُ﴾

عَنْ أبي أُمامةَ، عَنِ النَّبيِّ عليْهِ السَّلامُ قالَ: اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ لَفي ثلاثِ سُوَرٍ من الْقُرْآنِ: الْبقَرة وآلِ عِمْرانَ وطه.

(سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح:٧٤٦)

للشيخ عبد الرحمن البراك:

واسمه الحيُّ يدل على إثبات الحياة له، فهو الحيُّ والحياة صفته، فله الحياة التامة التي لا تُشْبه حياة المخلوق، الحياة المتضمنة لكل ما هو كمال للحياة.

وهو القيُّوم، وقيل في معناه: أنه القائم بنفسه، فليس مفتقرًا إلى غيره في وجوده، ولا في شيء من صفاته وأفعاله سبحانه وتعالى، وقيل: بأنه القائم بالمخلوقات فكل المخلوقات لا قيام لها، ولا وجود لها، ولا بقاء لها، ولا صلاح لها أبدًا إلا به سبحانه. (شرح العقيدة الطحاوية، ص:٤٩)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: إن هذين الاسمين يتضمنان جميع الصفات، فاسمه الْحيُّ يتضمن جميع الصفات الذاتية من: العلم، والسمع، والبصر، والقدرة والعزة، والحكمة، والرحمة.

واسمه الْقيُّوم يتضمن جميع الصفات الفعلية من: الخلق، والتدبير، والإحياء، والإماتة، والإعزاز والإذلال، والعطاء والمنع، والخفض والرفع.

هذا معنى كلامه، ينظر: بدائع الفوائد

قال الشيخ القاري محمد طيب رحمه الله:

فالخالق هو الله وحده لا غير لأن التخليق من خصوصيات الألوهية، ولا يمكن أن يخلق المخلوق شيئا لان الخلق اعطاء الوجود، وهو لا يمكن إلا ممن كان له وجود لذاته، والمخلوق ليس له وجود لذاته فمن أين يعطيه غيره.

(حاشية عقيدة الطحاوي، ص:٣٧)

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾

(الذاريات: ٥٦–٥٨)

وقال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾

(فاطر: ١٥–١٧)

الحديث القدسي:

يا عبادي لَوْ أنَّ أوّلكُمْ وآخركُمْ وإنْسكُمْ وجنّكُمْ كانُوا على أتْقى قلْب رجُلٍ واحدٍ منْكُمْ، ما زاد ذلك في مُلْكي شيْئا، يا عبادي لَوْ أنَّ أوّلكُمْ وآخركُمْ وإنْسكُمْ وجنّكُمْ كانُوا على أفْجر قلْب رَجُلٍ واحدٍ، ما نقصَ ذلك مِنْ مُلْكي شيْئا، يا عبادي لَوْ أنَّ أوّلكُمْ وآخركُمْ وإنْسكُمْ وجنّكُمْ قامُوا في صعيدٍ واحدٍ فسألُوني فأعْطيْتُ كُلّ إنْسانٍ مسْألتهُ، ما نقصَ ذلك ممّا عنْدي إلّا كما ينْقُصُ الْمخْيطُ إذا أُدْخل الْبحْر.

(صحيح مسلم، باب تحريم الظلم)

قوله: مُميتٌ بلا مخافة، باعثٌ بلا مشقة

أنَّ (مُميتٌ) اسم فاعل من (امات) المتعدي.

والاسم للرب عز وجل المُميت، هو سبحانه المُحيي المميت.

والمميت صفة كمال مع قرينتها المحيي.

قال الله تعالى:

﴿ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(الحديد: ٢)

حقيقة الموت؟

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

الموت صفة وجودية، خلافًا للفلاسفة ومَنْ وافقهُمْ. قالَ تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ والْعدمُ لا يُوصَفُ بكوْنه مَخْلُوقًا. وَفي الْحديثِ: أَنَّهُ يُؤْتى بالْموْتِ يَوْمَ الْقيامة على صُورة كَبْشٍ أمْلَحَ، فيُذْبحُ بيْنَ الْجنَّةِ وَالنَّار. وهو وإنْ كان عرضا فاللَّهُ تعالى يقلبُهُ عينا، كما وردَ في الْعملِ الصَّالحِ: أَنَّهُ يأْتي صاحِبَهُ في صُورة الشَّابِّ الْحسنِ، والْعَمَلُ الْقبيحُ على أَقْبح صُورَةٍ. (شرح العقيدة الطحاوية، ص: ١٢٢)

(باعث بلا مشقّة)

﴿أولَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

(العنكبوت:١٩)

﴿ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾

(لقمان:٢٨)

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾

(الروم:٢٧)

قوله: ما زال بصفاته قديما قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفاته، وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا.

(ما زال) و(لا يزال) فعلان يدلان على الاستمرار والدوام، ما زال يدل على الدوام في الماضي، ولا يزال في المستقبل.

فالله تعالى مازال ولا يزال موصوفا بصفات الكمال في الأزل والقدم الذي لا نهاية له، ولا يزال كذلك موصوفا بصفاته سبحانه وتعالى.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك:

الله تعالى لم يَزْدَد بوجودهم شيئًا من كماله لم يكن قبل خلقهم ووجودهم؛ بل مازال موصوفا بصفات الكمال، ولا يتوقف في شيءٍ من صفات الكمال على وجود شيء من المخلوقات.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٥٤)

صفات الله نوعان: ذاتية وفعلية

وصفات الله نوعان: صفات ذاتية، وهي: اللازمة لذات الرب، التي لا تنفك عن الذات، كالعلم، والسمع، والبصر، والحياة، والقدرة، والعزة، والرحمة، والقيّومية، فهي صفاتٌ ذاتية.

وصفاتٌ فعلية مثل: الاستواء على العرش، والنزول، والمجيء، والغضب.

وضابط الصفات الذاتية والفعلية:

أن الذاتية لا تتعلق بها المشيئة، وأما الفعلية فتتعلق بها المشيئة.

فتقول: إن الله تعالى ينزل إذا شاء، واستوى على العرش حين شاء، ويجيء يوم القيامة إذا شاء، فهذه فعلية.

ولكن لا يصح أن تقول: إنه يعلم إذا شاء، ويسمع إذا شاء، وهو حيّ إذا شاء؛ لأن هذه من لوازم ذاته سبحانه وتعالى.

عبد الرحمن البراك:

الجهمية، والمعتزلة يقولون: إنه صار متكلما بعد أن لم يكن ليس متكلما بمعنى أنه يقوم به الكلام، بل يريدون أنه خلق كلاما؛ لأن الكلام عندهم مخلوق، والقرآن مخلوق، وصار فاعلا بعد أن لم يكن، وليس معنى ذلك أنه يقوم به الفعل، وأنه يفعل فعلاً يقوم بذاته، ولهذا يقول ابن القيم في الشافية الكافية عن الجهم:

وَقَضَى بِأَنَّ الله لَيسَ بفاعِلٍ ... فِعلاً يقومُ بِه بِلاَ بُرهَانِ.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص:٥٨)

القاري محمد طيب رحمه الله:

أن معنى كلمة "الله" في اصطلاح القرآن هو مجموع الذات والصفات، لا الذات الخالية عن الصفات ولا الصفات المنفكة عن الذات، فلاح منه أن الصفات ذاتية له، لا حادثة فيه تعالى وتقدس، فلا يمكن أن تنفك عن الذات في أي حين وشأن، فإذا كانت ذاته تعالى قديما، وهو مجمع عليه عند جميع الأمم والأقوام، فصفاته تعالى أيضا تكون قديمة قائمة بذاتها، لأنها ذاتية له غير منفكة عنه، فثبت أنه قديم بذاته قديم بصفاته كما هو أبدي بذاته أبدي بصفاته. (حاشية عقيدة الطحاوي، ص: ٤٠)

قوله: لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ "الْخَالِقِ". وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ "الْبَارِي". لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّة وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِيَّةِ وَلَا مَخْلُوقَ.

هو الخالق والخلّاق ولو لم يخلق، والخالق البارئ اسمان من أسمائه الحسنى التي سمى بها نفسه ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾

و (الخَلق): يأتي بمعنى التقدير، وبمعنى الإيجاد.

و (البارئ): هو الذي يُحدِث الشيءَ من العدم إلى الوجود.

(لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّة وَلَا مَرْبُوب. ومَعْنَى الْخَالِقِيَّةِ وَلَا مَخْلُوق)

قال الشيخ عبد الرحمن البراك:

وهذه الجملة من جنس التي قبلها، فهو سبحانه موصوف بالربوبية، والخالقيَة، ولو لم يكن هناك مخلوق ولا مربوب، فليس مفتقرا في أسمائه وصفاته إلى خلقه.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٦١)

قوله: وَكَمَا أَنَّهُ "مُحْيِي الْمَوْتَى" بَعْدَما أَحْيَا، اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ "الْخَالِقِ" قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ.

قوله: ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ.

(الشورى: ١١)

(ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

قال الشيخ ابن مانع رحمه الله:

يجيئ في كلام بعض الناس: وهو على ما يشاء قدير، وليس ذلك بصواب، بل الصواب ما جاء به الكتاب والسنة: وهو على كل شيئ قدير، لعموم مشيئته وقدرته تعالى خلافا لأهل الاعتزال الذين يقولون: إن الله سبحانه لم يُرد من العبد وقوع المعاصي، بل وقعت من العبد بإرادته لا بإرادة الله.

(العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق للشيخ الألباني، ص:٣٥)

(وكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ)

فالمخلوق فقير إلى الله من جميع الوجوه، والله غني عن خلقه من جميع الوجوه، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

(فاطر: 15)

قال الشيخ عبد الرحمن البراك:

فكل شيءٍ مفتقر إلى الله في وجوده، وفي بقائه، وفي مصالحه، وفي كل شؤونه.

فالغنى المطلق من لوازم ذات الرب تعالى، والفقر من لوازم المخلوق، فالفقر صفة ذاتية للمخلوق، والغنى صفة ذاتية للخالق.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٦٤)

(لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)

فقوله: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) ردٌّ على أهل التشبيه، والتكييف.

وقوله: ((وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)) ردٌّ على أهل التعطيل.

فدلت على الحق ورد الباطل، وفيها ركائز المذهب الحق، وهو: (إثبات صفات الكمال لله تعالى، ونفي مماثلته للمخلوقات، ونفي العلم بالكيفية)؛ فإنه إذا كان تعالى لا مثل له؛ فلا يعلم كيف هو إلا هو.

قوله: خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم اقدارا، وضرب لهم آجالا.

(خلق الخلق بعلمه)

والخلقُ مصدر، وهو هنا بمعنى المخلوق.

قال الله تعالى:

﴿ألا يعلمُ مَنْ خلق وَهُو اللَّطيفُ الْخبيرُ﴾

(الملك: ١٤)

(خلق الخلق بعلمه) وفيه ردّ على القدرية الغلاة الذين يقولون: إنّ العلم حدث بعد وجود الأشياء، فهو سبحانه عَلِمَ بعد وقوع الأشياء، فخلق الخلْق ففعل الناس فعلم عز وجل ذلك.

الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

والدَّليلُ الْعقْليُّ على علْمه تعالى: أنَّهُ يَسْتحيلُ إيجادُهُ الْأشْياء مع الْجهْل، ولأنَّ إيجادهُ الْأشْياء بإرادته، والْإرادةُ تستلْزمُ تصوُّر الْمُراد، وتصوُّرُ الْمُراد: هُو الْعلْمُ بالْمُراد، فكان الْإيجادُ مُسْتلْزمًا للْإرادة، والْإرادةُ مُسْتلْزمةٌ للْعلْم، فالْإيجادُ مُسْتلْزمٌ للْعلْم. ولأنَّ الْمخْلُوقات فيها من الْإحْكام والْإتْقان ما يسْتلْزمُ علْمَ الْفاعل لها، لأنَّ الْفعْلَ الْمُحْكمَ الْمُتْقنَ يمْتنعُ صُدُورُهُ عنْ غيْر علْمٍ، ولأنَّ من الْمخْلُوقات ما هُو عالمٌ، والْعلْمُ صفةُ كمالٍ، ويمْتنعُ أنْ لا يكُونَ الْخالقُ عالمًا. (شرح الطحاوية، ص: ١٤٠)

واستدلوا على هذه النّحلة بقوله تعالى:

﴿ليعلم اللهُ مَنْ يخافُهُ بالْغيْب﴾

(المائدة: ٩٤)

وبقوله تعالى في تحويل القبلة:

﴿وما جعلْنا الْقبْلةَ الّتي كُنتَ عليْها إلّا لنعْلم منْ يتّبعُ الرّسُول ممّنْ ينقلبُ علَى عقبيْه﴾

(البقرة: ١٤٣)

وأهل السنة مثبتون:

لِعلْم الله تعالى الكُلّي بالاشياء،

ولعلم الله تعالى التفصيلي بأجزاء الأشياء،

وحوادثها المفردات.

○ علم الظهور/علم الوجود

والثواب والعقاب مرتبٌ على ما يوجد بالفعل، هذا مقتضى عدله وحكمته. فالله لا يجزي العباد بموجب علمه قبل خلقهم؛ بل يجزيهم على ما وقع منهم بالفعل.

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ:

وإذا عُلّل شيء في القرآن أو في السنة لكي يعلم الله عز وجل ذلك الشيء؛ فإن معناه عندهم – بما دلت عليه الأدلة – معناه: حتى يظهر علْمُ الله في الأشياء في هذه الأمور ليقع حسابُه وليقع تعذيبه أو تنعيمه أو نحو ذلك، يعني إظهار ما تنقطع به الحجة...لأنَّ الله عز وجل لو آخذ العباد، وآخذهم وحاسبهم على علمه السابق فيهم لكان لهم حجة.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص:١١٨)

قال الشيخ عبد الرحمن البراك:

وعلمه تعالى أزلي لا يتجدد بمعنى أنه يصير عالماً بعد أن لم يكن، ويعلم الشيء بعد أن لم يكن عالما به؛ فهذا نقص، والله منزه عنه.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص:٦٩)

(وقدر لهم اقدارا)

قال تعالى:

○ وخلق كُلَّ شيْءٍ فقدّرهُ تقديرا ○

(الفرقان: ٢)

○ إنّا كُلَّ شَيْءٍ خلقْناهُ بقدر ○

(القمر: ٤٩)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مقادير الْخلائق قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»

(رواه الإمام مسلم رحمه الله وغيره)

وفي بعض الروايات:

قدّر اللّه المقادير... إلى آخر الحديث

قال الشيخ عبد الرحمن البراك:

وقوله صلى الله عليه وسلم (قدَّرَ اللَّهُ الْمقادير) كلمة قصيرة لكن مفهومها واسع جدا، لا نحيط به ولا نتصوره لكن نفهمه إجمالا.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص:٧١)

تعريف القدر!

القَدَرُ معناه في اللغة: تهْيئةُ الشّيء لما يَصْلُح له، فإذا هَيّأت شيئاً لما يصلح له فقد قَدَّرْتَهُ.

أما في الشرع: فقيل في تعريف القدر عند أهل السنة: إنه علم الله السابق بالأشياء قبل وقوعها، وكتابته لذلك في اللوح المحفوظ قبل خلقها وإيجادها، ومشيئته النافذة الشاملة، وخَلْقُهُ عز وجل لكل ما قدّر.

قال الإمام النووي رحمه الله:

(القدر) بفتح الدال وسكونها لغتان، ومذهب أهل الحق إثبات القدر. ومعناه أن الله سبحانه وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى في أمكنة معلومة، وهي تقع على حسب ما قدره الله سبحانه وتعالى.

(شرح الأربعين النووية، ص:١٨)

(وضرب لهم آجالا)

وعطف هذه الجملة على التي قبلها من عطف الخاص على العام.

الآجال: جمع أجل.

والأجل: يطلق على نهاية المدة المقدرة، أو على نفس المدة المقدرة كلها.

وضَرْبُ الآجال معناه: أنه عز وجل جعل لكل شيء أجلاً ينتهي إليه، فما من شيء إلا وله أجل ينتهي إليه المراد من خلقه.

قال تعالى:

﴿ما خلقَ اللّهُ السّماواتِ والأرْضَ وما بيْنهُما إلّا بالْحقّ واجل مُسمّى وإنّ كثيرًا منَ النّاسِ بلقاء ربّهمْ لكافرُونَ﴾

(الروم:٨)

قوله: ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم.

(خلق الخلق بعلمه، وقدّر لهم أقدارا، وضرب لهم آجالا) **إثبات.**

(ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم) **سلب.**

لهذا قال علماؤنا، علْمُ الله عز وجل متعلق بكل شيء:

عَلِمَ ما سيكون

عَلِمَ ما لا يكون.

عَلِمَ ما قَدْرَ ألا يكون، لو حصل كيف يكون.

قَوْلُهُ: وأمرهُمْ بطاعته، ونهاهُمْ عنْ معْصيته.

ذكْرُ الأمْر والنّهْي، بَعْد ذكْر الخلْق والقدر.

قال الله تعالى:

﴿إنّ اللّه يأمُرُ بالْعدْل والْإحْسان وإيتاء ذي الْقُرْبى وينْهى عن الْفحْشاء والْمُنْكر والْبغْي يعظُكُمْ لعلّكُمْ تذكّرُون﴾

(النحل: ٩٠)

الجبرية: يثبتون القَدَر وينكرون الشرع.

القدرية: يثبتون الشرع وينكرون القَدَر.

وأهل السنة والجماعة: يؤمنون بهذا وهذا، ويؤمنون بحكمة الرب في شرعه وقدره.

قَوْلُهُ: وكُلُّ شيْءٍ يجْري بتقديره ومشيئته.

قال تعالى في الشمس:

﴿والشَّمْسُ تجْري لمُسْتقرٍّ لها ذلك تقْديرُ الْعزيزِ الْعليم﴾

(يس:٣٨)

وقال تعالى في الفلك:

﴿ألمْ ترَ أنَّ اللَّه سخَّرَ لكُمْ ما في الْأرْضِ والْفُلْكَ تجْري في الْبحْرِ بأمْرِه﴾

(الحج:٦٥)

قَوْلُهُ: ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلّا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن.

فالعباد لهم مشيئة، وأفعالهم نوعان:

اختيارية؛ فالإنسان يذهب ويجيء، ويأكل ويشرب، ويتكلم، ويضرب، هذه حركات اختيارية.

وأفعال لا اختيارية كحركة النائم، والمرتعش، فهذه يقال لها: لا إرادية.

ومشيئة العباد مقيدة بمشيئة الله، قال تعالى:

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ بإثبات المشيئة للعباد

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

(التكوير: ٢٨-٢٩)

ففي هذه الآية رد على طائفتين: الجبرية، والقدرية؛ فقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ رد على الجبرية، وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ رد على القدرية نُفاةِ القدر.

ولقد أحسن القائل:

مَا شِئْتَ كان وَإِنْ لَمْ أشَأْ... وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ

وَعَنْ وهب بن منبه، أَنَّهُ قَالَ: نَظَرْتُ فِي الْقَدَرِ فتحيَّرْتُ، ثُمَّ نَظَرْتُ فِيهِ فتحيَّرْتُ، ووجَدْتُ أَعْلَمَ النَّاس بِالْقَدَرِ أَكَفَّهُمْ عَنْهُ، وَأَجْهَلَ النَّاسِ بِالْقَدَرِ أَنْطَقَهُمْ بِه.

(شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ص: ١٤٦)

يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضلّ من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلاً.

قال الله تعالى:

﴿فيضلُّ اللَّهُ مَنْ يشاء ويهدي مَنْ يشاء وهُوَ الْعزيزُ الْحَكِيمُ﴾

(إبراهيم: ٤)

وقال تعالى:

﴿يُضلُّ مَنْ يشاء ويهدي مَنْ يشاء﴾

(النحل: ٩٣)

أنواع الهداية!

والهداية نوعان:

الاول: هداية الدلالة والبيان، وهي عامة للمؤمن والكافر. قال تعالى:

﴿وهديناهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠)

﴿وأمّا ثمودُ فهديناهُمْ﴾ (فصلت:١٧)

الثانى: هداية التوفيق لقبول الحق. قال تعالى:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يهديهُ يَشْرَحْ صَدْرهُ للإسْلامِ﴾

(الأنعام: ١٢٥)

الأولى تسمى: (الهداية العامة)، والثانية: (الهداية الخاصة).

أما الهداية الخاصة فلا يملكها إلا الله تعالى.

وأما الهداية العامة فالله قد جعلها للرسل أيضا.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

(الشورى: ٥٢)

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

(القصص: ٥٦)

الشيخ عبد الرحمن البراك:

وأنكرت المعتزلة هداية التوفيق؛ لأنهم أخرجوا أفعال العباد عن مشيئة الرب وقدرته تعالى وتقدّس، فعندهم أن الله لا يقدر أن يهدي أحدا، وإنما أثبتوا الهداية العامة: هداية الدلالة والإرشاد.

وقالوا: (يُضلّ) و(يهْدي) أي: من اهتدى حكم له بالهداية، ومن ضلّ سماه ضالا، أما أنه يجعل هذا مهتديا أو هذا ضالا فلا! تعالى عن قول الظالمين والمفترين علوا كبيرا.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص:٧٩)

وكُلُّهم يتقلَّبون في مشيئته، بين فضله وعدله.

قال الشيخ عبد الرحمن البراك:

فالحكمة معتبرة وجارية في الكل له الحكمة البالغة في هدايته لمن شاء من عباده، وخذلانه لمن شاء...

وأفعال الرب معللة لكن من العلل والحكم ما نعلمه بالنص عليه في الكتاب أو السنة، ومنها ما يُهتدى إليه بالتدبُّر، ومنها ما لا يعلم؛ فالعباد لا يحيطون بحكمة الرب كما لا يحيطون بسائر الصفات.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٨٠)

قَوْلُهُ: وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ.

وصف الرب بالتعالي كثيرٌ في القرآن ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (يونس:١٨)

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾

(الأنعام: ١٠٠)

تعالى: تقدّس وتنزّه وترفّع، فهذا اللفظ يدل على التنزيه.

الضَّد: المقاوم المخالف، والنِد: المِثْل.

لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ.

هذا تفصيل لما قبله؛ فلا ضد له يرد قضاءه ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ (الرعد: ١١)

وقوله: (وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) أي: مؤخر لحكمه فحكم الله ماض قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (الرعد: 41)

وقوله: (وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ) هذه الجمل الثلاث معناها متقارب كلها تفيد أن أمر الله وحكمه وقضاءه نافذ، وأنه غالبٌ لا يُغلب.

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

أَيْ: لَا يَرُدُّ قَضَاءَ اللَّهِ رَادٌّ، وَلَا يُعَقِّبُ، أَيْ لَا يُؤَخِّرُ حُكْمَهُ، مُؤَخِّرٌ، وَلَا يَغْلِبُ أَمْرَهُ غَالِبٌ، بَلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

(شرح العقيدة الطحاوية، ص:١٤٧)

قَوْلُهُ: آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ.